

المنهج اللغوي في تفسير النص القرآني عند ابن حزم

The linguistic approach in interpreting the Qur'anic text according to Ibn Hazm

د شباب معمر

جامعة وهران 1

Chebab.maamar@univ-oran1.dz

تاريخ النشر: 2024/11/15

تاريخ القبول: 2024/11/12

تاريخ الاستلام: 2024/02/22

ملخص:

كان للأندلسيين عناية خاصة باللغة وعلومها وآدابها ، أول كتاب دخل الأندلس من أعلامهم أبو علي القالي مؤلف كتاب " الأمالي " وكتاب " البارع " و أذيع كتب النحو على أيام ابن حزم ككتاب الكسائي وكتاب الجمل للزجاج ، ويعد ابن حزم (456هـ) إمام المذهب الظاهري ، موسوعي المعارف ، شاعرا ومؤرخا وفقه وعالما بالأديان، اهتم باللغة حيث يرى أن تحمل الألفاظ على الحقيقة ابتداء حملا على الألفاظ على ظاهرها .

كلمات مفتاحية: ابن حزم ، المفردات ، الحقيقة ، المجاز ، النص

Abstract The Andalusians also had a special interest in the language, its sciences, and its literature. The first writer to enter Andalusia was one of their prominent figures, Abu Ali al-Qali, the author of the book “Al-Amali” and the book “Al-Bari’.” Grammar books were widely spread during the days of Ibn Hazm, Al-Hawfi’s interpretation of the book Al-Kasa’i, and the book Al-Jamal for Glass. Ibn Hazm (456 AH) is considered the imam of the Zahiri school of thought, an encyclopedist of knowledge, a poet, historian, jurist, and scholar of religions. He was interested in language, as he

believed that words carry the truth, beginning with words bearing their apparent meaning.

Keywords :: Ibn Hazm , vocabulary , truth, metaphor, text

1. مقدمة:

بدأت النهضة العلمية في الأندلس مبكراً قبل بزوغ الفتن والاضطرابات التي عجلت بنهاية حكم بني أمية في الأندلس والذين كان لهم دور كبير في تشييد النهضة العلمية. ويعود الفضل في انتعاش الحركة الفكرية في الأندلس إلى دور الحكم المستنصر (350-366هـ) الذي كانت له عناية خاصة بالكتب المختلفة فقد قام بجمع مكتبة ضخمة من مختلف المؤلفات منذ أن كان والياً وبعد أن أصبح خليفة، فجلب من بغداد ومصر وغيرها من ديار المشرق المصنفات الكثيرة في العلوم القديمة والحديثة.

و انتشرت بواكر الحركة الفكرية إلى المدن الأندلسية الأخرى بعد أن كانت متمركزة في قرطبة، إلى طليطلة وسرقسطة وبلنسية وغيرها من المدن الأندلسية، بل إن بعض أمراء الطوائف قد أسهموا بهذه الحركة مثل أبي عامر يوسف بن أحمد (ت 478هـ) ولي عهد المقتدر (438-474هـ) صاحب سرقسطة الذي كان مع مشاركته بالعلوم الرياضية منفرداً دونهم بعلم المنطق والعناية بالعلم الإلهي⁽¹⁾.

ولا شك أن الإمام ابن حزم رحمه الله كان قد اطلع على تلك الخزائن من الكتب حتى بعد قيام الفتن التي اجتاحت قرطبة على أيدي البربر، قال ابن خلدون فيما نقله عن المقرئ "ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة إلى أن بيع أكثرها في حصار البربر وأمر بإخراجها الحاجب واضح من موالى المنصور ابن أبي عامر، ونهب بما بقي منها عند دول البربر قرطبة واقتحامهم إياها عنوة"⁽²⁾.

¹ - محمد خلف منشد، ابن حزم الأندلسي ومنهجه في دراسة العقائد والفرق الإسلامية، ص 33.

² - المقرئ، نفح الطيب، ط 1، 1302هـ، المطبعة الأزهرية، ج 1 ص 386.

وكانت لهم عناية خاصة باللغة وعلومها وآدابها ، أول كتاب دخل الأندلس من أعلامهم أبو علي القالي مؤلف كتاب " الأمالي " وكتاب " البارع " و أذيع كتب النحو على أيام ابن حزم تفسير الحوفي لكتاب الكسائي وكتاب الجمل للزجاج .

ويعد بن حزم (456هـ) إمام المذهب الظاهري ، موسوعي المعارف، شاعرا ومؤرخا وفقهيا وعالما بالأديان، اهتم باللغة حيث يرى أن تحمل الألفاظ على الحقيقة ابتداء حملا على الألفاظ على ظاهرها . وبناء على ما سبق وبالإضافة لما تفرد به المذهب الظاهري في تعامله مع النصوص والأدلة الشرعية. ومن هنا تأتي إشكالية البحث ماهو المنهج اللغوي الذي اعتمده ابن حزم في تفسير النصوص؟ كيف تحمل الألفاظ على الحقيقة ابتداء وكيف تحمل الألفاظ على المجاز بدليل

1.1- اسمه ونسبه:

هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي⁽³⁾.

2.1- مؤلفاته، فاته، وثناء العلماء عليه

وصف الإمام ابن حزم رحمه الله بضخامة إنتاجه وتنوع تصانيفه حيث غطى ببحوثه جميع الفنون والعلوم ولقد ألف الإمام ابن حزم رحمه الله في كثير من الموضوعات الأدبية والفقهية وفي السيرة والأخلاق.

1.2.1: مؤلفاته

إن الإمام ابن حزم رحمه الله قد آتاه الله من الصفات مايمكنه من فتح نور المعرفة والاستضاء به والاتجاه معه إلى أن قضى نحبه، وكل مخايله ومواهبه تجعل منه العالم الذي فاضت بحوثه، وتناقلت الأجيال كتبه وكان له لون خاص قائم به في الفكر الإسلامي، قد تميز به ولم يشركه فيه سواه.

ويقول الإمام ابن حزم-رحمه الله- عن علمه الواسع وإحاطته بكل العلوم:

أنا الشمس في جو العلوم منيرة ولكن عيبي أنّ مطلعني الغرب

ولو أنني من جانب الشرق طالع لجدّ على ما ضاع من ذكرني النهب⁽⁴⁾

ترك لنا مايزيد إلى مائة وخمسة وستين مؤلفا، تكشف لنا عن عالم موسوعي، ومفكر كبير

³ - الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج3 ص1146.

⁴ - ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، الشنتريني ، ص113

علم الديانة:

فإن شئت في علم الديانة تلقني نقايا له لم يخف عني له نقب

علم الحديث:

وأما أفانين الحديث فإنني أنا بحرهما الطامي وينبوعها السكب

علم الفقه:

وقيدت من فتيا ذوي الفقه ضابطا بحفظ ما طالت به قبلها الحقب

علم الكلام:

وإن لاذ طلاب الكلام بجاني فإنني ساقِيهم وكلهم شرب

علم اللغة:

وأما تساؤل باللغات ونحوها فما صارمي فيها إذا عددت ينبو

علم العروض:

وحسبك بي في الأعاريض مقنع إذا عدت الأوتاد والشطر والدرب

علم التاريخ:

وإن شئت أخبار الدهور فإنني أنا جامع التاريخ منذ نبت الهضب

فما غاب عني أمر ملك وسوقه ولا شدّ دويني أمر سلم ولا حرب

سواء على ذكرى قريب ونازح ومن حملت أرض ومن ضمه الترب

علم الأنساب:

وإن تذكر الأنساب كُنْتُ نقيبها ولم يخف عن ذكراي حي ولا شعب

علم المنطق:

ولو أنّ رسطا ليس حي بززته وما عاش إلا وهو بالحرى يربُّ

1.3.1 ثناء العلماء عليه:

قال الذهبي-رحمه الله- "ابن حزم رجل من العلماء الكبار فيه أدوات الاجتهاد كاملة، تقع له المسائل المحررة والمسائل الواهية كما يقع لغيره، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم"(5).

قال عنه الحافظ أبو عبد الله الحميدي -رحمه الله- : "كان حافظا عالما بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطا للأحكام من الكتاب والسنة، متفننا في علوم حجة، عاملا بعلمه، زاهدا في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله من الوزارة وتدبير الممالك..."(6)، وعن التدين والأخلاق مؤلف للإمام ابن حزم رحمه الله سماه "الأخلاق والسير في مداواة النفوس" فيقول:

إنما العقل أساس فوقه الأخلاق سور
فتحل العقل بالعلم وإلا فهو بور

1.4.1 وفاته:

لقد عاش الإمام ابن حزم رحمه الله حياة مليئة بالأحداث زاخرة بالقضايا والآمال، منشغلا بالتفكير والعمل ساجدة في الخواطر والأمل، كأنها تهبط وديانا، وتصعد جبالا منتصرة مرة، ومخذولة مرارا. توفي -رحمه الله- في بلدة لَبْلَكة (مَنْتَ لَشِيم) (7) وهي قرية الإمام ابن حزم -رحمه الله- في الثامن والعشرين من شهر شعبان وعن عمر إحدى وسبعين سنة وأشهر -رحمه الله- (8).

1.2: بيان معنى المفردات من خلال النص القرآني

النص الأول: قال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾، [البقرة 229]

قال أبو محمد فالرجعة هي الإمساك (9).

النص الثاني : قال تعالى ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة 228].

⁵ - الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج3، ص1154.

⁶ - الحميدي ، جذوة المقتبس في ذكر وفاة الأندلس ، ص290، 291.

⁷ - ينظر معجم الأدباء ج4 ص1651.

⁸ - الذهبي، سير أعلام النبلاء،، ص51.

⁹ - ابن حزم المحلى المحلى بالآثار ، ج 10 ص 21.

- **القرء:** يقول القرء جمع قرء في لغة العرب التي نزل بها القرآن يقع على الطهر ويقع على الحيض ويقع على الطهر والحيض.

ومثل لها بقول الأعشي :

أني كل عام أنت جاشم غزوه تشد لأقصاها غريم عزائكما
مورثه مالا وفي الأصل رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائك
فأراد الأطهار.

وقال آخر: يا رب ذي ضعن على قار له قروء كقروء الحائض⁽¹⁰⁾.

النص الثالث : قال تعالى ﴿وَلَكِنَّ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة/235].

قال السر النكاح والسر أيضا ضد الإعلان⁽¹¹⁾.

النص الرابع: قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى﴾ [الطلاق/6].

قال والتعاسر في لغة العرب التي نزل بها القرآن فعل من فعلين فإذا قنعت هي بأجرتها التي أوجبها الله تعالى لها بالمعروف، فلم تعاسره⁽¹²⁾

النص الخامس: قال تعالى: ﴿وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾ [المائدة/45].

قال أبو محمد في الجراح وأقسامها:

أولها: الحارضة ثم الدامية ثم الدامعة ثم الباضعة ثم المتلاحمة ثم السمحاق ثم الموضحة ثم الهاشمة ثم المنقلة وهي اللامة وفي الجوف وحده الجائفة وهي التي نفدت إلى الجوف .

- **الحارضة:** التي تشق الجلد شقا خفيا، فيقال حرض القصار الثوب إذ شقه شقا لطيفا.

- **الدامية:** هي التي ظهر فيها شيء من دم ولم يسيل.

- **الدامعة:** وهي التي سال منها شيء من دم كالدمع.

- **الباضعة:** هي التي شقت الجلد ووصلت إلى اللحم .

- **المتلاحمة** هي التي شقت الجلد وشرعت في اللحم.

- **السمحاق** وهي التي قطعت الجلد اللحم كله ووصلت إلى القشرة الرقيقة التي على العظم.

¹⁰ - المصدر نفسه، ج 10 ص 30 .

¹¹ - المصدر نفسه، ج 10 ص 11 .

¹² - المصدر نفسه، ج 10 ص 175 .

- الموضحة التي شقت الجلد واللحم والقشرة وأثرت في العظم فهشمت فيه.
- لهاشمة هي التي قطعت الجلد واللحم والقشرة وأثرت في العظم فهشمت فيه.
- والمنقلة: هي المنقولة أيضا التي فعلت ذلك كله وكسرت العظم فصار يخرج منها العظام.
- والمأمومة: التي نفدت ذلك كله وشقت العظم كله فبلغت أم الدماغ⁽¹³⁾
- اسم المرأة يقع على الأمة المباح وطؤها كما يقع على الزوجة وجمع للمرأة من لفظها لكن جمع المرأة على النساء ولا واحد للنساء من لفظه: قال تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ [البقرة/223] فدخل بذلك الأمة المباحة والزوجة⁽¹⁴⁾.

النص السابـدس: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء/92]. (من) ههنا بمعنى (في) لأنه لا خلاف بين أحد في أن قوما كفارا حريين أسلم منهم إنسان وخرج إلى دار الاسلام فقتله مسلم خطأ فأنه فيه الدية لولده و الكفارة - فصح بذلك ما قلنا⁽¹⁵⁾.

النص السابع: قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة/108]، هو صفة فعلهم وكل ما فكرنا يسمى في الشريعة وفي اللغة تطهرا وطهورا وطهرا، فأى ذلك فعلت فقد تطهرت. فجاء النص والإجماع بأنه غسل الفرج والدبر بالماء. قال عليه الصلاة والسلام (جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا)⁽¹⁶⁾

3. آراؤه النحوية من خلال النص القرآني

النص الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف/50].

ذهب أهل التأويل في قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ نصب على الاستثناء المتصل لأنه كان من الملائكة على قول الجمهور ورجحه الطبري⁽¹⁷⁾.

¹³ - المصدر السابق، ج 11 ص 96.

¹⁴ - المصدر نفسه، ج 4 ص 313.

¹⁵ - المصدر السابق، ج 10، ص 215.

¹⁶ - المصدر نفسه، ج 1، ص 392.

¹⁷ - القرطبي، الجامع الأحكام القرآن، ج 1، ص 438.

قال الإمام ابن حزم رحمه الله واختلفوا في نحو من أنحاء الاستثناء، فقالت طائفة لا يجوز أن يستثنى الشيء من غير جنسه أو نوعه المخبر عنه وقالت طائفة جائز أن يستثنى الشيء من غير جنسه أو المخبر عنه.

ثم قال الإمام ابن حزم رحمه الله إن استثناء الشيء من غير جنسه ونوعه المخبر عنه جائز واسمه في العربية وعند النحويين الاستثناء المنقطع⁽¹⁸⁾ وهو ابتداء خبر آخر كقائل قال أتاني المسلمون إلا اليهود فهذا جائز، كأنه قال إلا اليهود، قال: إلا اليهود فإنهم لم يأتوني. والبرهان القاطع في ذلك قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [ص/73] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف/50] فلم يدع تعالى للشك ها هنا مجالا إلا بينه وأخبر أن إبليس كان من الجن⁽¹⁹⁾.

النص الثاني: قال تعالى: ﴿أَوْ حَمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ﴾ [الأنعام 145]. عود الضمير إلى المضاف إليه.

حيث قال أبو محمد أن شعر الخنزير وعظمه فحرام كله لا يحل أن يمتلك ولا أن ينتفع بشيء منه لأن الضمير راجع إلى أقرب مذكور فالخنزير كله رجس⁽²⁰⁾.

هذا مذهب الإمام ابن حزم رحمه الله، ومذهب غيره أن الرجس بهذا النص هو لحمه فقط. وبياناً لذلك أن الضمير راجع إلى أقرب مذكور ولا يجوز غير ذلك لأنه مبدل عنه من مخبر عنه أو مأمور فيه يقول الإمام ابن حزم رحمه الله: "ألا ترى أنك لو قلت أتاني زيد وعمر وخالد فقتلته أنه لا خلاف بين أحد من أهل اللغة في أن الضمير راجع إلى خالد وأنه لا يجوز رده إلى زيد أو عمرو، فإن وجد يوماً ما في شيء من النصوص رجوع الضمير إلى أبعد مذكور فهو بمنزلة ما ذكرنا من نقل اللفظ عن موضوعه في اللغة⁽²¹⁾."

وانتشرت المسألة من كتب الفقه إلى كتب النحو فنقد أبو حيان الأندلسي في تفسيره رأي الإمام ابن حزم رحمه الله حيث قال: "والظاهر في "فإنه" عائد إلى لحم الخنزير وزعم أبو محمد الإمام ابن حزم

18 - الاستثناء المنقطع هو ما كان المستثنى ليس من جنس المستثنى منه مثل جاء القوم إلا الحمير.

19 - ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ج 4 ص 446.

20 - المصدر نفسه، ج 1 ص 124.

21 - المصدر نفسه، ج 4 ص 459.

رحمه الله أنّه عائد على الخنزير فإنه أقرب مذكور، إذ احتمل الضمير العود على الشئيين كان عوده على أقرب أرجح، وعورض بأنّ المحدث عنه إنما هو "اللحم" وجاء ذكر الخنزير على سبيل الإضافة إليه لا أنّه هو المحدث عنه المعطوف، ويمكن أن يقال ذكر "اللحم" تنبيهاً على أنّه أعظما ينتفع به من الخنزير⁽²²⁾.

وقد نقله عنه الإسنوي حيث قال: الضمير إذا سبقه مضاف ومضاف إليه، وأمکن عوده على كلٍ منهما على انفراده كقولك: "مررت بغلام زيد فأكرمته" فإنه يعود على المضاف دون المضاف إليه لأنّ المضاف هو المحدث عنه، والمضاف إليه وقع ذكره بطريق التبع وهو تعريف المضاف أو تخصصه، كذا ذكره أبو حيان في تفسيره وكتبه النحوية، وأبطل به استدلال الإمام ابن حزم رحمه الله ومن نحاً نحوه على نجاسة الخنزير وعللوه بأنّه أقرب مذكور⁽²³⁾.

3 النص الثالث : قال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة/228]

قال أبو محمد: القروء جمع "قرء" والقرء في لغة العرب التي بها نزل القرآن يقع على الطهر ويقع على الحيض ويقع على الطهر والحيض ثم استرسل أبو محمد في بيان اللفظ القرء على أنّه الطهر من السنة حيث قال: "والإشارة بخلاف الضمير وهي عائدة إلى أبعد مذكور".

وهذا حكمها في اللغة إذ كانت الإشارة "بذلك، تلك، هو، هذه، أولئك، هم، هي أو هما" فإن كانت بهذا أو هذه فهي راجعة إلى حاضر قريب ضرورة، وهذا مالا خلاف فيه بين أحد من أهل اللغة ولا يعرف نحوي أصلاً غير ما ذكرنا، ولذلك أو جئنا أن يكون القرء في حكم العدة هو الطهر خاصة دون الحيض، وإذا كان القرء في اللغة، واقعاً على الحيض كوقوعه على الطهر ولا فرق ولكن لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فتلك العدة إلى أمر الله تعالى أن تطلق لها النساء"⁽²⁴⁾.

فكان قوله عليه الصلاة السلام "تلك" إشارة تقتضي بعيداً وأبعد مذكور في الحديث قوله عليه السلام "تطهر" فلما صح أنّ الطهر بهذا الحديث هو العدة المأمور أن تطلق لها النساء صح أنّه هو العدة المأمور بحفظها لإكمال العدة⁽²⁵⁾.

22 - أبو الحيان الأندلسي، البحر المحيط، ج 4 ص 243.

23 - سعيد الأفغاني، الإمام ابن حزم الأندلسي لمحات من سيرته وأضواء على عبقرية، ص 216.

24 - أخرجه مسلم في كتاب الطلاق ج 2، 1093.

25 - ابن حزم، الأحكام، ج 4 ص 460.

4. الحقيقة والمجاز وأثرهما في تفسير الإمام ابن حزم

1.4: مفهوم الحقيقة وأقسامها:

لغة: جاء في اللسان: "حق الأمر يَحَقُّ وَيُحَقُّ حَقًّا حَقُوقًا: صار حَقًّا وثبت والحقيقة في اللغة: ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه، والمجاز ما كان بضد ذلك⁽²⁶⁾

اصطلاحاً:

عرفها أبو الحسين البصري (ت: 436هـ) ما أفيد بها ما وضعت له في أصل الاصطلاح الذي وقع التخاطب⁽²⁷⁾. والمراد بالوضع تعيين اللفظ للمعنى للدلالة عليه بغير قرينة سواء كان هذا التعيين من واضعي اللغة أو من غيرهم.

1.1.4 أقسام الحقيقة:

الواقع أنّ البحث في أقسام الحقيقة لم يكن من اختصاص علماء البيان والبلاغة، بل قد سبقهم إلى ذلك علماء اللغة وبحث فيه علماء الأصول في بحثهم عن الأحكام واستخلاصها من الألفاظ، ولقد راعى الأصوليون والبلاغيون في عملية الوضع نوعية الواضع في الاستعمال الحقيقي، فحكموا وقسموا الحقيقة باعتبارها مع مراعاة وضع اللفظ واستعماله إلى:

أ: الحقيقة اللغوية: نعي بها ما استعمل من الألفاظ في معناه اللغوي سواء كان "اللفظ المستعمل فيما وضع له أولاً⁽²⁸⁾، أي فيما وضعه واضع اللغة، أو ما اكتسبه اللفظ من المدلول الجديد في مرحلة من مراحل التطور اللغوي، كلفظ الشمس في الكوكب المضيء .

ب: الحقيقة العرفية: لكلّ لفظ معنى موضوع له في اللغة، ولكن العرف قد يخصه ببعض مسمياته نتيجة شيوع استعمال الناس له، فعن الاستعمال هذا نقل اللفظ من معنى إلى آخر لتصبح الحقيقة الأولى مجهولة، وعندها يأخذ وضعاً حقيقياً جديداً في البيئة اللغوية الجديدة⁽²⁹⁾.

²⁶ - لسان العرب، -، ابن منظور، مادة حقق، م2 ص122-123.

²⁷ - محمد الصري، المعتمد في أصول الفقه، ج1 ص11.

²⁸ - القراني: شرح تنقيح الفصول، ص65.

²⁹ - ينظر محمد السبكي، الإجماع في شرح المتهاج، ج1 ص275.

هـ - الحقيقة الشرعية: "فهي استعمال الشرعي فيما كان موضوعا له أولا في الشرع"⁽³⁰⁾ سواء كانت الدلائل اللغوية سابقة عليها أم لا، فهناك ألفاظ استعملها الشارع في معان زائدة عن وضعها المخصوص المستفاد من اللغة للمعاني الموضوعية لها شرعا، كاسم الصلاة فمعناها اللغوي هو الدعاء وهو المعنى الذي جاء به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة/103] ولكن معناها في الشرع هو تلك الأفعال والأقوال المخصوصة التي تؤدي في أوقات مخصوصة، وكاستعمال لفظ الطلاق للدلالة على حل عقد الزواج بعد أن كان موضوعا عند العرب لحل القيد مطلقا.

بعض الألفاظ اكتسبت في فترة الترتيل مدلولات جديدة كما وردت في القرآن.

2.4: حمل الألفاظ على الحقيقة في تفسير الإمام ابن حزم

الإمام ابن حزم رحمه الله يحمل الآيات على الحقيقة ويخالف الكثير من المفسرين الذين يحملونها إلى المجاز وبيانا لذلك نقف على مايلي:

النص الأول:

قال الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاجْزِمْنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَإِي نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص/24].

اختلف المفسرون في تأويل الخصم الذين تسوروا على سيدنا داود عليه السلام المحراب. فحملت طائفة الخبر على المجاز وهم أكثر المفسرين ذكر الطبري رحمه الله قال: أن داود عليه السلام حين دخل محرابه ذلك اليوم قال: لا يدخلن علي محرابي اليوم أحد حتى الليل ... وفي المحراب كوة⁽³¹⁾ تُطلَعُ على تلك الجنينة، إذ أقبلت حمامة

من ذهب حتى وقعت في الكوة، فتصوبت الحمامة للبلاء والاختيار من الكوة فوقعت بين يديه. فاتبعها فتصوبت إلى الجنينة. فإذا امرأة جالسة تغتسل في الجمال والحسن والخلق، فيزعمون أنها لما

³⁰ - الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ج1 ص53.

³¹ - ابن حزم، الإحكام، ج 4 ص 446

رأته نقضت رأسها فوارت به جسدها منه واختطفت قلبه ورجع إلى زبوره ومجلسه لا يفارق قلبه ذكرها، وتمادى له البلا حتى أغرى زوجها تم أمر صاحب جيشه، فيما يزعم أهل الكتاب أن يقدمه للمهالك حتى أصابه بعض ما أراد به من الهلاك، ولداود تسع وتسعون امرأة فلما أصيب زوجها خطبها داود فنكحها فبعث الله إليه وهو في محرابه ملكين يختصمان إليه مثلاً يضربه له ولصحابه⁽³²⁾.

وجاءت هذه الرواية بطرق كثيرة:

- 1- أنّ أوريا رجل من صالحى بني اسرائيل كان خطب تلك المرأة، فلما غاب خطبها داود عليه السلام فتزوجها فعتب الله عليه إذ لم يتركها لخطبها وقد كان عنده تسع وتسعون امرأة.
- 2- أنّه دفع إلى قتل أوريا واستشهاده في الجهاد، كما كان لا يجزع على من هلك من الجند.
- 3- أنّه أغرى أوريا وبعث إلى قائد الجيش يأمره أن يجعله في حملة التابوت وكان حملة التابوت لا يجوز لهم أن يرجعوا وراءهم حتى يفتح لهم أو يستشهدون وكان يفتح لأوريا ولا زال داود يعرضه للموت حتى استشهد.

وحمل أبو محمدا لآية على ظهرها وعلى الحقيقة قال رحمه الله وهذا قول صادق صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزؤ الكاذبون، المتعلقون بخرفات ولدها اليهود، وإمّا كان ذلك خصم قوم من بني آدم ولا شك مختصمين نجاج من الغنم على الحقيقة بينهم يعني أحدهم على الآخر بنص الآية، ومن قال أنّهم كانوا ملائكة معرضين بأمر النساء فقد كذب على الله عز وجل وقوله ما لم يقل. وزاد في القرآن ما ليس فيه وكذب على الله عز وجل وأقر على نفسه الخبيثة أنّه كذب الملائكة⁽³³⁾.

ثم بين رحمه الله أنّ لفظ الخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة وقوعا مستويا. فلا يسوغ لأحد أن يقول أنّ المتسورين على داود عليه السلام كانوا اثنين دون أن يقول بل كانوا جماعة وقد قال ذلك بعض المفسرين، قال الله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَحْمَةٍ﴾ [الحج/19] وإمّا أنزلت في ستة نفر، علي وحمة وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم وفي عتبة، وشيبة والوليد في عتبة إذ تبارزوا يوم بدر⁽³⁴⁾.

³²- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 20 ص 72

³³- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج 4 ص 40.

³⁴- ابن حزم، الأحكام، ج 4 ص 440.

وذهب أبو حيان الأندلسي في تفسيره "والظاهر كانوا جماعة فلذلك أتى بضمير الجمع، فإن كان المتحكما اثنين قد جاء معهم غيرهم على جهة المعاوضة والمؤانسة⁽³⁵⁾.

النص الثاني:

ففي قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِهَٰلِ أَهْلِ أَهْلٍ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [سورة ق/30]

قال الزمخشري في تفسيره سؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتثنيته، وفيه معنيان:

أحدهما: تمتلئ مع اتساعها وتباعد أطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزداد على امتلائها لقوله تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [السجدة/13].

والثاني: أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها وضع المزيد ويجوز أن يكون "هل من مزيد" استكثاراً للدخلين فيها وابداعاً للزيادة عليهم لفرط كثرتهم⁽³⁶⁾.

قال ابن كثير في تفسيره أنه سبحانه وتعالى أنه وعدها أنه سيملؤها من الجنة والناس فهو سبحانه وتعالى يأمر لمن يأمر به إليها ويلقى وهي تقول "هل من مزيد" أي هل بقي شيء تزيدوني؟ هذا هو الظاهر من سياق الآية وعليه تدل الأحاديث منها عن أنس بن مالك، عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "يلقى في النار، وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع قدمه فيها، فتقول: قط قط"⁽³⁷⁾.
قال الإمام ابن حزم رحمه الله هو عندنا حقيقة وإنطاق لها⁽³⁸⁾.

3.4: مفهوم المجاز وأقسامه:

لغة: وزن المجاز مفعّل، لأنّ أصله مُجَوِّز فُثِّلَتْ واوه ألفاً بعد نقل حركتها إلى الجحيم، والمفعّل يستعمل حقيقة في الزمان والمكان والمصدر⁽³⁹⁾.

اصطلاحاً: عرّف عبد القاهر الجرجاني المجاز تعريفاً يلائم تعريفه للحقيقة بقوله: "كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في موضوع الواضع لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز"⁽⁴⁰⁾.

35 - أبو حيان الأندلسي البحر المحيط، تح: ج 7 ص 375.

36 - الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، ت، ص 601

37 - أخرجه البخاري في التفسير، ج 8، ص 848

38 - ابن حزم، الإحكام، ج 4، ص 463

39 - ينظر السبكي، الإبهاج في شرح المناهج، ج 1، ص 54

ومثال ذلك: قولنا زيد أسد والأسد هو ذاك الحيوان المعروف، وقد جزنا من الإنسانية إلى الأسدية أي عبرنا من هذه لوصلة بينهما وتلك.

1.3.4 أقسام المجاز:

وانطلاقاً من وجود العلق المجاز وعدمها يقسم إلى قسمين هما: مجاز لغوي وهو "ما استفيد عن طريق اللغة ومدرجات اللسان" (41) ومجاز عقلي هو "ما استفيد عن طريق العقل وإيجاءات الفطرة" (42).
أ: المجاز اللغوي: وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة وقرينة (43) مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، فالألفاظ تنقل من حقائقها اللغوية إلى معان أخرى بينهما صلة ومناسبة" (44).

كلفظ الأسد حين ننقله عن الحيوان المعروف إلى الإنسان فهذا يُعدّ خروجاً عما وضعه اللغويون من معان للأسماء ودلالات الألفاظ لذلك سمي مجازاً لغوياً، والسبيل إلى معرفته هو وضع اللغة الذي قد يدل السامع على أنّ هذا اللفظ أو ذاك في غير محله.

ب: أنواع المجاز اللغوي:

انطلاقاً من أحد شقي المجاز الذي هو العلاقة الرابطة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، قسم الأصوليون وعلماء البيان المجاز إلى قسمين:

- 1- ما كانت العلاقة فيه المشابهة فهو استعارة.
- 2- ما كان العلاقة فيه غير التشابهة فهو مجاز مرسل.

2.4 حمل الألفاظ على المجاز في تفسير الإمام ابن حزم:

يرى الإمام ابن حزم رحمه الله لا يجوز حمل اللفظ على غير حقيقة إلا بقرينة شرعية يقول: "أنّ الاسم إذا تيقنا بدليل نص أو إجماع أو طبيعة أنه مقول عن موضوعه في اللغة إلى معنى آخر وجب الوقوف عنده، فإنّ الله تعالى هو الذي علم آدم الأسماء كلها وله تعالى أن يسمى ما شاء بما شاء" (45).

40- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تعليق، ص 304.

41- محمد الحسين علي الصغير، أصول البيان العربي في القرآن الكريم، 1999م، ص 503.

42- نفس المرجع، ص 503.

43- ينظر: محمد أبو النور زهير، أصول الفقه، ص 53.

44- عبد العزيز عتيق، علم المعاني والبيان، ص 337.

يقرر الإمام ابن حزم رحمه الله أنّ خطاب الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم فهو على ما وضع له في اللغة ولا يكون إلا بشروط ثلاث "إلا بنص أو إجماع أو ضرورة حس" (46).

أولا النص:

يقول الإمام ابن حزم رحمه الله "كل كلمة نقلها تعالى عن موضوعها في اللغة إلى معنى آخر فإن كان تعبدنا بها قولاً وعملاً كالصلاة والصيام والزكاة والربا وغير ذلك فليس شئ من هذا مجازاً" (47)

لقوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّائِعِينَ﴾ [البقرة/43] وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة/183].

الثاني الإجماع:

قال تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ﴾ [الكهف/50].

جاء في تفسير الطبري "قال بعضهم والملائكة قد تسمى جناً لاستتارها واستدلوا بقوله تعالى ﴿جَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات/158].

وقال الشاعر (48) في ذكر سليمان عليه السلام

وسَخَّرَ مِنْ جِنَّ الْمَلَائِكِ تِسْعَةً
قِيَاماً لَدَيْهِ يَعْمَلُونَ بِلاَ أَجْرِ

أ- رد الإمام ابن حزم رحمه الله هذا القول الذي حملوه على غير حقيقة قال "وقد حمل التهور قوماً راموا نصر مذهبهم ها هنا فقالوا إنّ الملائكة يسمون جناً لإجتناهم، وهذا قول فاحش من وجوه أحدها وأوضحها قوله عز وجل إذا سأل الملائكة "﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ/40] فقالت الملائكة: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبأ/41] ففرق تعالى بين الملائكة والجن فرقاً كما ترى.

ب- إخباره عليه السلام " أنّ الملائكة خلق من نور والجن خلقت في ناره ففرق بين النوعين فرقاً من خالفه كفر.

45 - عبد العزيز عتيق علم المعاني والبيان البديع.

46 - ابن حزم، الإحكام، ج4، ص463.

47- المصدر نفسه، ج4 ص463.

48- هو أعيش بن قيس، والبيت في الأصدى لابن الأنباري ص 335 تفسير الطبري ج 1 ص 539.

ج- إجماع الأمة على أنّ من سمى جبريل أو ميكائيل جنياً فقد كفر⁽⁴⁹⁾.

ثالثاً ضرورة الحس:

وفي قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ [الكهف/77].

فقد علمنا بضرورة العقل أنّ الجدار لا ضمير له، والإرادة لا تكون إلا بضمير الحي، هذه هي الإرادة المعهودة التي لا يقع اسم إرادة في اللغة على سواها، فلما وجدنا الله تعالى، قد أوقع هذه الصفة على الجدار الذي ليس ما يوجب التسمية، علمنا يقيناً أنّ الله عز وجل قد نقل اسم الإرادة في هذا المكان إلى ميلان الحائط، فسمى الميل إرادة، وقد قدمنا أنّ الله تعالى يسمي ما شاء بما شاء... ولولا الضرورة التي ذكرنا ما استجزنا أن نحكم على اسم بأنه منقول عن مسماه أصلاً⁽⁵⁰⁾.

5. الخاتمة: يرى الإمام ابن حزم رحمه الله في تفسيره للنصوص القرآن الكريم أن تحمل النصوص

الشرعية على الظاهر بشروط ثلاثة وهي :

* أن الألفاظ تحمل على المعنى الظاهر وهو المعنى المتداول بين المخاطبين

* الدليل صارف لدلالة الألفاظ يكون مصدره إما في الشرع أو في اللغة، يقول ابن حزم " فكل خطاب

خاطبنا الله تعالى به أو رسوله صلى الله عليه وسلم، فهو على موضوعه في اللغة ومعهوده فيها إلا بنص

إجماع أو ضرورة حس تشهد بأن الاسم قد نقله الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم عن موضوعه إلى

معنى آخر فإن وجد ذلك أخذناه على ما نقل إليه"

* إنَّ التأويل إن كان مجرداً عن الدليل يعد تحريفاً للخطاب الشرعي.

المصادر والمراجع:

- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط، 1382هـ-1962م، دار المعارف، مصر،
- محمد خلف منشد، ابن حزم الأندلسي ومنهجه في دراسة العقائد والفرق الإسلامية.
- المقرئ، نفح الطيب، ط1، 1302هـ، المطبعة الأزهرية.
- الذهبي "شمس الدين أبو عبد الله" تذكرة الحفاظ طبعة 1333هـ، مجلس دائرة المعارف النظامية.

⁴⁹- ابن حزم الإحكام ج 4 ص 446.

⁵⁰- المصدر السابق، ج 4 ص 446.

- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، الشنتريني أبو الحسن علي بن بسام، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ط لسنة 1417هـ 1997م.
- الذهبي، تذكرة الحفاظ، الذهبي "شمس الدين أبو عبد الله" طبعة 1333هـ، مجلس دائرة المعارف النظامية.
- الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، طبعة 1966، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: سعيد الأفغاني، بيروت، دار الفكر، 1389هـ-1969، .
- ابن حزم المحلى المحلى بالآثار، تح: عبد الغفار سليمان البندري، طبعة 3، 1424هـ-2003م، دار الكتب العلمية، بيروت
- القرطبي، الجامع الأحكام القرآن دون ط، دار الترا العربي، بيروت.
- ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تح محمود حامد عثمان، طبعة 1426هـ-2005م، دار الحديث القاهرة
- سعيد الأفغاني، الإمام ابن حزم الأندلسي لمحات من سيرته وأضاء على عبقرية، دار القلم، دمشق، دون ط، .
- لسان العرب،-، ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، دون طبعة.
- محمد الصري، المعتمد في أصول الفقه تح: خليل الميس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة: 140 هـ.
- القرافي: شرح تنقيح الفصول ط1، دار الفكر، لبنان، بيروت، سنة 1418هـ/1997م.
- الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ط1، 1401هـ-1981م، دمشق دار الفكر للطباعة .
- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح محمود محمد شاكر دار المعارف القاهرة، ط 1971م
- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار المعرفة، بيروت، لبنان..
- أبو الحيان الأندلسي "محمد بن يوسف" البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود "وأخرون" دار الكتب العلمية بيروت، لبنان
- الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: أحمد عبد الموجود، ط1، 1418هـ-1998م، مكتبة العبيكان، الرياض.
- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تعليق محمد رشيد رضا ط1، لبنان بيروت، دار الكتب العلمية، سنة 1409هـ/1988م
- محمد الحسين علي الصغير، أصول البيان العربي في القرآن الكريم، لبنان، بيروت، دار المؤرخ العربي، ط1، 1999م.
- عبد العزيز عتيق، علم المعاني والبيان، بيروت: دار النهضة العربية، (دت)